

التبيان في تفسير القرآن

(316) بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم (119) آية تقدير الكلام وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا. وقيل نزلت هذه الآية بسبب الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوك ولم يخرجوا مع النبي (صلى الله عليه وآله) لاعتن نفاق، لكن عن توان، ثم ندموا، فلما ورد النبي (صلى الله عليه وآله) جاءوا واعتذروا، فلم يكلمهم النبي (صلى الله عليه وآله) وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فجهرهم الناس حتى الصبيان وأهاليهم وجاءت نساؤهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعتزلهم، فقال: لاولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا إلى رؤس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد، فهلا نتهاجر نحن ايضا، فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان، وثبتوا على ذلك نيفا وأربعين يوما. وقيل سنة يضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم، وانزل فيهم هذه الآية والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن امية وفزارة بن ربيعة، وكلهم من الانصار - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجابر - والتخليف تأخير الشئ عن مضى، فأما تأخير الشئ عنك في المكان، فليس بتخليف، وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه. وقال مجاهد: خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين، كما قال تعالى فيما مضى " وآخرون مرجون لامر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم " (1) وقال قتادة " خلفوا " عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم. وبه قال الحسن. وفي قراءة اهل البيت (عليهم السلام) " خالفوا " قالوا لانهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب، وقوله " حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت " فالضيقة ضد السعة ومنه ضيق الصدر، خلاف اتساعه بالهم الذي يحدث فيه فيشغله عن غيره، وليس كذلك _____ (1) سورة 9 التوبة آية 107 (*)